

أسلوب متأدب ، بل كيف العلم لطبيعة الأدب ، فكتب أدباً رفيع المستوى لغةً وصياغةً وقالباً فنياً وأثراه بفوائد المعرفة العلمية الشاملة « الموسوعية » التي لا بد منها للمثقف والمتحضر .

وأعترف أنى كنت أبحث عن لغة العصر المنقرض المثقلة بقيود السجع والمحسنات اللفظية التي عبّر عنها العقاد بقوله : « سجع محفوظ الفواصل والقوافى يتردد على كل قلم ويؤجّج به فى كل موضوع »^(٤) ، كما فى هذه الفقرة للشيخ على يوسف : « يا أشواقى ! ما لك فى كل وقت تعبين بالمهج ، ويا أتواقى ! ما لك أهديت إلى أحشائى الوهج »^(٥) ، اللغة التى سيطرت على الفكر الأدبى حتى أنها ظهرت فى عناوين الكتب ، عنوان « الشرف الوافى فى النحو والصرف والعروض والقوافى ، شذا العرف فى فن الصرف ، منار السالك إلى أوضح المسالك ، عجائب الآثار فى التراجم والأخبار » ، ولم تسلم منها عناوين كتب رفاة رفاع الطهطاوى ومعاصروه « المرشد الأمين للبنات والبنين ، تخلص الإبريز فى تخلص باريز » ، و« الأمانى والمنة فى حديث قبول وورد جنة ، وقائع الأفلاك فى معارك تليماك ... إلخ » . بحثت عن هذه الأساليب فلم أجدها فى الكتاب إلا بصعوبة فى مواضع لا تزيد مجتمعة على صفتين ولأسباب